

## الفصل الثاني

### استخدام اللغة

١- كما هو معروف، تشكل اللغة احدى ادوات التفكير والاتصال الرئيسية، وتستخدم لاىصال الافكار ونقل واعطاء المعلومات لآخرين. غير ان وظيفة اللغة غير مقتصرة فقط على هذا الاستخدام لها. فلو تأملنا ولو بسرعة في استعمالات اللغة المختلفة في الحياة لوجدنا انها غير منحصرة في نقل المعلومات فقط.

٢- لو حاولنا ان نصنف وظائف اللغة المتعددة، يمكن ان نقول وبقدر مقبول من التبسيط والتعميم غير الدقيق، ان اللغة تخدم او تقوم بثلاثة وظائف رئيسية على الاقل.

#### أ- الوظيفة الاخبارية او الاعلامية (Informative Function):

ولعل هذه اول وظيفة تتبادر للذهن عندما نتحدث عن استخدامات اللغة المختلفة. ونقول اننا نستخدم اللغة اخباريا عندما، وعلى سبيل المثال، نوكد او ننفي صحة قضية ما، عندما نقدم حجة او حجج لدعم قول ما، او عندما ننقل معلومات من اي نوع كان. فاللغة تستخدم اخباريا اذا عندما يتم استعمالها لنقل المعلومات. ويهيمن استخدام اللغة هذا على ما نجده في الجرائد والمجلات والكتب، خصيصا تلك التي تعنى بالعلوم الطبيعية والاجتماعية.

#### ب- الوظيفة التعبيرية (Expressive Function):

'يقرن في العادة الاستخدام التعبيري للغة مع الشعر، غير انه ليس مقصور عليه. فاهتمام الشاعر الرئيسي في العادة هو ليس نقل المعلومات وانما التعبير عن الشعور والعواطف والاحاسيس والمواقف تجاه احداث او حقائق معينة.

فعلى سبيل المثال، عندما يقول الشاعر :

وليل كموج البحر أرضى سدوله علي بأنواع الهموم؛ ليبتلي

فقلت له : لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناءً بكلل

الا ايها الليل الطويل الا انجلي بصبح، وما الإصباح منك بأمثل

- هو لا يقصد ان يعدد الخصائص الطبيعية والبيئية لليل والنهار وتأثير تلك الخصائص على الانسان، وانما يقصد التعبير عن شعور محدد ينتاب الشاعر وربما كذلك اثاره شعور شبيه او مواز لدى السامع او القارىء.

وعليه نقول، ان اللغة تستخدم تعبيريا عندما يتم استعمالها لنقل عواطف او مشاعر او احاسيس لسامع او لقارىء. اضافة، يمكن استخدام اللغة تعبيريا كذلك لاثارة عواطف ومشاعر معينة لدى السامع او القارىء.

- واستخدام اللغة هذا غير محصور بالشعر. نقول مثلاً : واحسرتاه، يا للهول، للتعبير عن الاسف او الخوف. ونقول : يا للروعة، يا للجمال، للتعبير عن الاندهاش او الاعجاب. وعندما نستخدم اللغة للمديح او الذم، للشكر او الشتم، للتحية او الوداع، نستخدمها تعبيرياً.

- هذا الاستخدام للغة وبحد ذاته غير قابل للصدق او الكذب، للصحة او الخطأ بنفس المعنى التي تحمله هذه العبارات عند انطباقها على استخدام اللغة اعلامياً. فالشاعر مثلاً، كشاعر غير معني في العادة في اعطاء درس في الجغرافيا او التاريخ او العلوم او ما شابه. وقد يكون ان نقل المعلومات هو نتيجة اضافية للاستخدام التعبيري للغة، غير ان هذا ليس ما يهدف اليه استعمال اللغة تعبيرياً.

### ج- الوظيفة التوجيهية (Directive Function):

تستخدم اللغة توجيهياً عندما يهدف استعمالها الى التسبب بحدوث عمل ما او منع حدوث عمل ما. ولعل اوضح امثلة على هذا النوع من استخدام اللغة هي الأوامر والنواهي. فعندما نطلب من شخص القيام بشيء معين او ننهاء عنه نكون قد استخدمنا اللغة توجيهياً لغرض التسبب بقيامه بهذا العمل او عدم القيام به.

واستخدام اللغة توجيهياً في العادة وفي شكله النقي المصفى، غير قابل للصحة والخطأ. فعندما نقول : أقفل الباب؛ أحضر الكتاب؛ لا تلعب بالنار؛ لا تصطاد في الماء العكر، لا ينشأ في العادة سؤال حول صحة او خطأ هذه الأوامر والنواهي بنفس المعنى الذي يمكن فيه للعبارة التالية ان تكون صحيحة او خاطئة : عدد سكان الضفة الغربية وقطاع غزة مليون و ٢٠٠ الف نسمة.

واستخدام اللغة هذا لا يقتصر على الأوامر والنواهي بشكها الصارم بل يتضمن كذلك الحث والندب والزجر والاسئلة واي استعمال للغة يهدف الى التسبب بحدوث عمل معين.

ويمكن احيانا لعبارة ما ان تأخذ شكلاً توجيهياً دون ان تهدف الى التوجيه، فيعتمد التصنيف على فهمنا لهدف المتكلم. مثلاً، يقول الشاعر :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

من غير الواضح ان هدف الشاعر هو اعطاء معلومات عن العنوان البريدي السابق للحبيب والذي هو نفس مكان سكنه سابقاً (استخدام اخباري). ومن غير الواضح كذلك ان الشاعر يهدف الى توجيه دعوة عامة للنحيب والبكاء والعيول قرب اطلال منزل الحبيب وفي نكراه (استخدام توجيهي). اذاً، كيف ستخدم شاعرنا اللغة هنا؟

### ٣- التعددية في الوظائف اللغوية :

وكما يمكن انه قد بدأ يتبادر للذهن، فان استخدام اللغة في الحياة بوجه عام لا يخلو من تداخل في وظائف الكلام. فبينما قد نجد العديد من الامثلة تستخدم فيها اللغة بوظيفة واحدة، نجد كذلك ان اللغة تستعمل بأكثر من وظيفة في آن واحد. فيمكن لقول ما ان يستخدم بهدف تعبيرى

وتوجيهي في آن واحد؛ مثلا، يقول الشاعر :  
واغتتم صفو الليالي      انما العيش اختلاس

ويمكن لمقالة علمية متخصصة مثلا ان تنقل حماس الكاتب ازاء اكتشاف ما لحث القراء على متابعة البحث في الموضوع.

- غير ان استخدام اللغة المتعدد لا يجيء دائما بشكل مباشر. فيمكن ان تستعمل اللغة اخباريا وفي مضمون معين يضيف اليها استخداما توجيهيا. مثلا، الحديث عن تطور جامعة بيرزيت ومنجزاتها ومشاريعها المستقبلية امام جمهور من الزوار الفلسطينيين الأثرياء!.

- ويشكل هذا مدخل لنا للتمييز بين الوظيفة من جهة والشكل اللغوي للجملة من جهة اخرى. فجملة ما قد يكون لها شكلا لغويا معيناً، مثلا، كسؤال، لكنها قد تقوم بوظيفة توجيهية. مثلا :  
ألم يحن لنا ان نستيقظ من سباتنا لناخذ زمام الأمور بأيدينا؟

- ويمكن كذلك للغة ان تستخدم بشكل "ادائي". واللفظ الأدائي هو اللفظ الذي يقوم بالعمل الذي يبان انه وصف له. مثلا، عندما اقول : أرغب بأن اعبر لك عن اعتذاري؛ او، اريد ان أعلمك اني اثق بك كل الثقة؛ ان التعبير عن الاعتذار او الثقة بالشخص ليس شيء آخر غير ترداد هذه الجملة نفسها في الوضع او الموضوع المناسب.

#### ٤- المدلول الأنفعالي للغة (Emotive meaning):

رأينا كيف انه في امكان اللغة ان تقوم بوظيفة تعبيرية. وتتمكن اللغة من القيام بهذه الوظيفة لأسباب عدة احدها يتعلق بالمدلول او المعنى الأنفعالي الملازم لبعض الكلمات. ويختلف ما اصطلح على تسميته بالمعنى الأنفعالي للكلمات عن معناها او مدلولها الحقيقي او الفعلي. فالمعنى الحقيقي للكلمة "عنيد" مثلا، عندما نستخدمها كوصف لسلوك شخص ما، هو هذا السلوك من قبله في اماكن ومواضع محددة. والمعنى الحقيقي للكلمة "مظاهرة" عندما نستخدمها لوصف حدث، هو الحدث ذاته او ما جرى في مكان وزمان محددان.

تحتوي كل قضية على بعض الكلمات التي لها معنى حقيقي. ويمكن للكلمات تلك ذاتها ان تحمل معنى انفعاليا ايضا. ويتصف المعنى الانفعالي بأنه له وقع نفسي او عاطفي خاص على السامع او القارئ، قد يكون ايجابيا او سلبيا. وقد تتفق كلمتان في معنهما الحقيقي وتختلفان في معنهما الانفعالي. مثلا :

عنيد	مثابر
معاق حركيا	كسيح
معاق بصريا	اعمى
غير متزوجة	عانس
جبان	حذر
تهور	جرأة
مظاهرة	شغب
مقاومة	ارهاب
انتفاضة	Intifada

ان تم استخدام هذه الكلمات لوصف نفس السلوك او الوضع او الحدث، نقول انها تتفق في مدلولها الحقيقي وتختلف في مدلولها الأنفعالي. والاختلاف هنا ليس في ما تدل عليه هذه الكلمات حقيقة وانما في موقف الشخص او نظرتة تجاه ما تدل عليه هذه الكلمات. من ناحية المبدأ يمكن للغة ان تستخدم بحيث تكون محايدة انفعاليا، ويكون حينئذ استخدامها اخباري. غير ان استخدام اللغة في الحياة وفي شتى المضامين ينذر ان يخلو من كلمات لها معنى انفعالي.

#### ٥- انواع الاتفاق والاختلاف :

ان الحديث عن المدلول الانفعالي للكلمات يوضح كيف انه من الممكن ان يوجد اختلاف في النظرة الى نفس الشيء عند شخصين او اكثر. وبصورة عامة يمكن القول ان الاتفاق او الاختلاف يمكن ان يتم على الاقل من ناحيتين : (١) من ناحية الاعتقاد و(٢) من ناحية النظرة. (١) الاعتقاد : عندما يتفق او يختلف اثنان حول حدوث او عدم حدوث شيء ما، نقول انهما يتفقان او يختلفان في الاعتقاد. فالاتفاق والاختلاف في الاعتقاد له علاقة بالحقائق والوقائع والمعلومات التي ترتبط بموضوع معين ويكون الاتفاق او الاختلاف حولها.

(٢) النظرة : عندما يتفق او يختلف اثنان في رد فعلهم تجاه الحقائق والوقائع والمعلومات المرتبطة بموضوع معين نقول انهما يتفقان او يختلفان في النظرة. والخلاف او الاتفاق هنا لا يتعلق بالمعلومات وانما بتقييم المعلومات والحقائق، وبرد فعل الشخص تجاهها سلبا كان أم ايجابا.

- على ضوء ما تقدم، تبرز الامكانات التالية :

١- اتفاق في الاعتقاد	واتفاق في النظرة
٢- اتفاق في الاعتقاد	واختلاف في النظرة
٣- اختلاف في الاعتقاد	واتفاق في النظرة
٤- اختلاف في الاعتقاد	واختلاف في النظرة

- اذا كان هناك خلاف في الاعتقاد يجري في العادة ازالته او السعي نحو ذلك عن طريق التدقيق في المعلومات والوقائع والحقائق. وقد تكون هناك قضايا لا يمكن ازالة الخلاف فيها بشكل سريع (تاريخ)، او من غير الممكن الحسم فيها نهائيا الآن (هل يوجد حياة في المريخ؟).

- والخلاف والاتفاق في النظرة كثيرا ما ينجم عن منطلقات خلقية مختلفة تتعلق بقيم الشخص، اي تلك التي تحدد ما هو حسن وما هو رديء، ما هو خير وما هو شر، ما هو جيد وما هو سيء. وليس كل اختلاف او اتفاق في النظرة متعلق بالقيم الخلقية حيث ان مرده يمكن كذلك ان يكون تفضيل شخصي معين. ولا يحسم الخلاف في النظرة عن طريق الرجوع الى الحقائق ان كان هناك اتفاق حولها. واذا كان هناك سبيل الى انتهاء هذا النوع من الخلاف فهو يكمن في النظر في اسباب رد فعل المختلفين تجاه الحقائق نفسية كانت، ام خلقية، ام سياسية، ام دينية، ام اسباب اخرى. ومن غير الواضح ان المنطق يسعف كثيرا في تغيير النظرة.